



البحرية الانكليزية في عهد الملكة اليزابيث الأولى ١٥٥٨-١٦٠٣

د. احمد صالح عبوش

جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الانسانية



ملخص البحث

كانت البحرية الانكليزية تتطور شيئاً فشيئاً في عهد اسرة تيودور (١٤٨٥-١٦٠٣) حتى وصلت الى ذروتها ومجدها في عهد الملكة اليزابيث الاولى Elizabeth I (١٥٥٨-١٦٠٣) التي طالما ركزت على بناء قوة انجلترا العسكرية والاقتصادية من خلال وضع الأسس الرصينة والمتينة للبحرية وجعلها قوة أوروبية لا يستهان بها، وقد حققت انجلترا بذلك الكثير من المكاسب على الاصعدة كافة لاسيما بعدما تمكنت من هزيمة الاسبان في معركة الارمادا البحرية عام ١٥٨٨، وقيام بحارتها أمثال دريك بالهجوم على السفن الاسبانية المحملة بالذهب والفضة القادمة من العالم الجديد مما عكس للعالم الأوربي مدى التطور والتقدم الذي تشهده انجلترا في مضمار البحرية.

Abstract

The two kings Henry VII (1485-1509) and Henry VIII (1509-1547) are considered the real founders of the English navy and the builders of its foundations.

The improvements introduced to the industry of ships weapons and naval administration during their era were main cause of enabling the English marines to achieve evident deeds at Elizabeth's era.

When England started to look forward to participate in the world trade overseas, it relied on its traders' efforts rather than its direct royal command as happened in Portugal, since the commerce system with the foreign nations was undertaken by big commercial companies such as wool traders company and adventurer traders company etc.

In fact, the pirates of Manish sea (English channel) who were engaged in plundering Portuguese commercial ships loaded with precious shipping's from Lishepona to the low lands were the direct ancestors of the adventurer seamen at Elizabeth's era. The English navy, however, did not show up as a formal patriot force but in 1660 after the Royalty came back to England represented by the king Charles II (1660-1685).

The historians, therefore, consider this age as the most important one in the general history of Britain's, because its reforms and changes were great in forming the English ethics and building the modern system of their state. When Elizabeth I assumed power, England was very weak in the naval and combat aspect in that it can't drive any outside attack back.

She, however, could get the peace back to inside England who she suppressed all revolutions that broke out during her long rule, and put out the religious disputes by strengthening the English Church and guaranteeing its superiority she also could reorganize and reinforce the combat fleet which led greatly to facilitate the English trade all over the world.

المقدمة

بدأ الانكليز عملية الكشوفات الجغرافية متأخرين عن البرتغال واسبانيا، ففي عهد الملك هنري السابع Henry VII (١٤٨٥-١٥٠٩)^(١) وتحديدًا عام ١٤٩٦ قام جيوفاني كابوتو أو جون كابوت J. Cabot وهو ايطالي مولود في جنوا^(٢) بإثارة تجار بريستول Bristol - جنوب غرب انكلترا- والملك هنري

(١) هنري السابع: ولد عام ١٤٥٧ والده ادموند تيودور ايرل ريجموند. حقق الملك هنري انتصاراً كبيراً على قوات ريتشارد الثالث في معركة بوسوورث Bosworth توفي عام ١٥٠٩.

Gladys Temperley, Henry VII, (London, 1917).

(٢) في حين تذكر بعض المصادر ان جون كابوت مولود في فينيسيا وليس في جنوا مستندة في ذلك على ان الملك هنري السابع كان يدعوه بالفينيسي. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Henry Harrisse, John Cabot the discoverer of North- America and Sebastian his son, (London, 1896), p. 1.

السابع بمشروعه لعبور الاطلسي واستكشاف طريق شمالي الى الشرق. في ٢ أيار ١٤٩٧ أنطلق كابوت برحلة من بريستول بإذن من ملك انكلترا وتكفل تجار بريستول بنفقاتها، فوصل الى جزيرة نيو فوندلاند New Foundland - شرق كندا- واكتفى برفع الاعلام الانكليزية وعاد الى انكلترا. تُعدّ جزيرة نيو فوندلاند من أقدم ممتلكات التاج البريطاني في أمريكا، وعلى أساس هذا الكشف ادعت انكلترا لنفسها حق الاستيلاء على اجزاء واسعة من أمريكا الشمالية، وفي عام ١٤٩٨ ابحر مرة أخرى فوصل الى الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية، ولم تأت هذه الرحلات بأكلها مما جعل فكرة الكشف الجغرافي تضعف كثيرا في زمن الملك هنري الثامن^(٣).

(٣) عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٢٦٠؛ حسن صبحي، التاريخ الاوربي الحديث، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية،

القيادة الملكية المباشرة مثلما حدث في البرتغال لأن نظام التجارة مع الأمم الأجنبية اضطلعت به الشركات التجارية الكبيرة مثل شركة تجار الصوف وشركة التجار المغامرين وغيرها^(٣).

والواقع أنَّ قراصنة بحر الهانش (القنال الانكليزي) الذين عكفوا في عهد الملك هنري الثامن على سلب المراكب التجارية البرتغالية التي كانت تحمل الحمولات الثمينة من لشبونة الى الاراضي المنخفضة كانوا هم السلف المباشر للبحارة المغامرين في عهد الملكة اليزابيث الاولى^(٤). في حين لم تظهر البحرية الانكليزية بوصفها قوة وطنية رسمية الا في عام ١٦٦٠ بعد اعادة الملكية الى انكلترا بشخص الملك شارل الثاني Charles II^(٥) (١٦٦٠ -

يعد الملكان هنري السابع وابنه الملك هنري الثامن Henry VIII (١٥٠٩ - ١٥٤٧)^(١) المؤسسان الحقيقيان للبحرية الانكليزية وواضعا اسسها، وكانت التحسينات التي ادخلت على بناء السفن وصناعة المدافع والادارة البحرية في عهدهما سببا في تمكين البحارة الانكليز في عهد الملكة اليزابيث من تحقيق ما احرزوه من اعمال جليلة^(٢).

وعندما بدأت انكلترا تتطلع الى الاسهام في تجارة العالم عبر البحار اعتمدت على جهود تجارها وليس على

١٩٨٣)، ص ٤٩.

(١) هنري الثامن: ولد في ٢٨ حزيران عام ١٤٩١. اعتلى عرش انكلترا بعد وفاة والده الملك هنري السابع عام ١٥٠٩ ومن اشهر اعماله فصل الكنيسة الانكليزية عن كنيسة روما. توفي عام ١٥٤٧. A.F. Pollard, Henry VIII, (London, 1902).

(٢) جون هامرتن، تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، المجلد ٦، (القاهرة، د.ت)، ص ٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٥) شارل الثاني: ابن الملك شارل الاول الذي اعدم عام ١٦٤٩ بعدما قامت ثورة ضده بزعامة اوليفر كرومويل O. Cromwell

(١٦٨٥)^(١).

والسلم^(٣).

وعلى الرغم من ذلك فانه لا يمكن تحديد زمن يمكن من خلاله معرفة تاريخ بداية تأسيس البحرية الانكليزية، ففي العصور الوسطى بدأت البحرية الانكليزية بتجميع عدد من السفن عند الحاجة، ومن ثم تتفرق^(٢) بمعنى انه لم يكن هناك مؤسسة بحرية قائمة بحد ذاتها تبقي على اسطول ثابت في حالات الحرب

كان الملك هنري الثامن يمول السفن البحرية عن طريق فرض الضرائب على الاستيراد، وتوسعت البحرية في عهده، ففي عام ١٥٠٩ كانت اعداد السفن تصل الى خمسة سفن، وفي عام ١٥١٤ بلغت اعدادها ثلاثين سفينة تضمنت سفينة «هاري العظيم» ذات الحمولة ١٥٠٠ طن، وسفينة «ماري روز» ٦٠٠ طن، لكن معظم الاصلاحات البحرية توقفت الى ما بعد عام ١٥٢٥ بسبب الصراع مع الكنيسة الكاثوليكية، اذ اضيفت (٢٧) سفينة جديدة ممولة بأموال الاديرة التي تم حلها^(٤).

وقد وصلت اعداد السفن عند وفاة الملك هنري الثامن عام ١٥٤٧ الى (٥٨) سفينة، وعلى الرغم من ان السفن التجارية كانت تعود ملكيتها للأفراد الا انها كانت تحسب ضمن الاساطيل

الذي تمكن فيما بعد (عام ١٦٥١) من هزيمة شارل الثاني في معركة وورسيستر وهرب شارل على اثرها الى أوربا. اعتلى عرش انكلترا عام ١٦٦٠ حتى وفاته عام ١٦٨٥ وقيل انه مات مسموما وهناك من قال انه مات اثر سكتة دماغية دفن في دير ويستمنستر.

Osmund Airy, Charles II, (London, 1904).

(1) J.A Froude, The Divorce of Catherine of Aragon, (New York, 1891), p. 452.

(2) Edward Hall, Henry VIII, (London, 1904), pp. 186-187.

(3) en.Wikipedia.org.

(4) Ibid.

الانكليزية الحربية^(١).

اما في عهد الملك ادوارد السادس Edward VI (١٥٤٧-١٥٥٣)^(٢) والملكة ماري تيودور Mary (١٥٥٣-١٥٥٨) فقد اهتمت البحرية، ولم تتعد مهمة الاسطول البحري الانكليزي الدفاع عن السواحل^(٣).

علاقة الانكليز بالبحر

لا توجد نقطة في انكلترا تبعد اكثر من ٨٠ ميلاً عن البحر كذلك الحال بالنسبة الى اسكتلندا وايرلندا وويلز، ومن النادر ان نجد شخصاً في انكلترا لم يكن له

(1) Ibid.

(٢) الملك ادوارد السادس: ولد عام ١٥٣٧ في هيمبتون كورت Hempton- Court، وهو ابن الملك هنري الثامن من جين سيمور J. Semour. ملك انكلترا وايرلندا (1547-1553). توفي عام 1553. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Michel Mourre, Dictionnaire d'histoire ariverselle, (Paris, 1981), p.445.

(3) en.Wikipedia.org.

ارتباط روعي بشاطئ البحر^(٤).

فما الذي يفسر الارادة التي لدى الانكليز وتدفعهم الى الذهاب الى البحر؟ ان اول عامل هو القرب من البحر، فوجود المحيط على مسافة لا تزيد على ٨٠ ميلاً من اية نقطة في البلاد، جعل التعامل مع البحر هو الخيار السائد الى اشد المواطنين سذاجة، والعامل الثاني يكمن في خصائص الساحل نفسه، بوصفه يزخر بسلسلة من الموانئ ومراسي السفن على مسافة قريبة بعضها من بعض على طول الساحل، ومن ان عدداً كبيراً من السكان يعملون في التجارة البحرية وفي الصيد، فضلاً عن بناء السفن والزوارق. اما العامل الثالث فهناك تاريخ انكلترا نفسه الذي تشكل من خلال افعال الغزاة البحرين - الانجلو ساكسون والفايكنك والنورمان - اولئك

(٤) إ.إ. رايس، البحر والتاريخ، ترجمة عاطف احمد، عالم المعرفة، (الكويت، 2005)، ص 207.

المالية، فالضرائب التي كانت في أوروبا تذهب الى الشؤون العسكرية لتضيق بعد ذلك في حملات غير حاسمة خارج الحدود؛ كانت في انكلترا تنفق في بناء السفن الحربية الفاعلة، في حين ان الثروة التي كانت لا تجبى عليها الضرائب، تنفق في بناء سفن تجارية قوية، يعمل عليها رجال مغامرون اشداء مستعدون في اي وقت من الاوقات^(١).

ولعل احد اهم العناصر المميزة لعلاقة الانكليز بالبحر هو ان العمل في البحر قد نشأ لديهم بصورة عفوية وعضوية طبيعية وليس بصورة مصطنعة^(٢).

ان ما يميز انكلترا عن باقي بلدان أوروبا التي تملك سواحل طويلة وتكون في تماس مباشر مع البحار والمحيطات هو ان الاسطول البحري في انكلترا يعد مسألة حياة او موت، أما في غيرها من البلدان فلا يعد الأمر كذلك، وهذا مرتبط إلى حد

الذين غرسوا في الذهن الانكليزي وعياً حياً بإمكانات البحر مما مكّن انكلترا من خلال الغزو ان تكون المستودع الرئيس التقليدي للقرصنة والغزو البحري الذي مورس في شمال أوروبا بنجاح، وقد عاش الانكليز في بلد متمتع - من بين شعوب شمال أوروبا البحرية- بتنظيم سياسي وقدرات انتاجية بإمكانها تكوين قاعدة وانشطة جماعية متوافقة ذات طابع تجاري وعسكري في مياه الاطلسي، وبطبيعة الحال لم تكن انكلترا في غنى فرنسا، لكنها بحلول القرن السادس عشر اصبحت ثرية، بمعنى انها كانت تنتج اكثر مما تستهلك -خاصة الصوف والمنسوجات المصنعة- وانها كانت تملك رأس المال متراكما خاصة بعد عملية حل الاديرة التي زودها بقدر كبير من الثروة، وكذلك فقد كان لديها طبقة تجارية، وقبل كل شيء فقد تمتعت انكلترا بسلام داخلي -وهي ميزة نادرة في ذلك الوقت- وكانت لديها ايضا حكومة مركزية ذات كفاءة في الادارة

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

أي اعتداء خارجي، وتمكنت من ان تعيد السلام إلى الداخل الانكليزي حين اخذت جميع الثورات التي اندلعت خلال حكمها الطويل، وقضت على الخلافات الدينية بتثبيت قدم الكنيسة الانكليزية وضمان تفوقها واستطاعت ان تعيد تنظيم الاسطول الحربي وتقويته، وكان لهذا الأثر البالغ في تسهيل التجارة الانكليزية في ربوع العالم^(١).

لقد ترتب على التغير الذي طرأ على طرق التجارة نتيجة الكشوفات الجغرافية البرتغالية التنافس بين الدول الثلاث اسبانيا وفرنسا وانكلترا على السيادة البحرية لان كل منهما كانت تواجه المحيط الاطلسي الذي اصبح الطريق التجاري الهام بين غرب أوروبا ومنطقة جزر الهند الشرقية (الشرق الاقصى)^(٢).

(١) حافظ ابراهيم باشا، الانكليز في بلادهم، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٣٩)، ص ١٧-١٨.

(٢) زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر الى نهاية

كبير بطبيعة البلاد البحرية التي دُمغت بضمائر الانكليز منذ البدايات الاولى لها حتى انصهرت طبائع الطرفين في بوتقة واحدة فطبيعة البلاد الجغرافية حتمت على الملوك الانكليز ضرورة الاهتمام بالبحرية وجعلها القوة الاولى في قضايا التجارة والأمور التي تتعلق بالدفاع والدود عن البلاد، والآ فان حال البلاد ستكون في ضعف وتهديد دائمين.

الملكة اليزابيث الاولى وبناء البحرية الانكليزية

يعد عصر الملكة اليزابيث الاولى بداية انكلترا الحديثة، إذ رأى عددٌ من المؤرخين في هذا العصر على انه أكثر العصور أثرًا في تاريخ بريطانيا العام من الناحية الايجابية، لأن ما غُيّر فيه وأُصلح كان عظيمًا في تكوين أخلاق الانكليز وبناء نظام دولتهم الحديث. كانت انكلترا عندما تولت الملكة اليزابيث الاولى الحكم على درجة عالية من الضعف الحربي والبحري لا تقوى معه على صد

١٥٨٥^(٢) اللذين كان لهما افضلية خاصة في عهد الملك هنري الثامن^(٣).

اصبح ادوارد كلنتون ايرل^(٤) نوتنغهام Nottingham - الوسط الشرقي لإنكلترا- في ٤ آيار عام ١٥٧٢ وكان من كبار المستشارين البحريين للملكة اليزابيث، اثناء النصف الاول من حكمها، وكان سيسل وجميع رجال دولتها الكبار

(٢) ادوارد كليتون: نبيل انكليزي. ولد في لينكولنشاير وهو ابن توماس كليتون البارون الثامن لكليتون (١٤٩٠-١٥١٧). انضم ادوارد الى حاشية الملك هنري الثامن وخدم في البحرية الملكية ضد القوات البحرية الفرنسية والاسكتلندية من عام ١٥٤٤ حتى ١٥٤٧، وفي عهد الملكة اليزابيث الاولى عمل كسفير في فرنسا. توفي في لندن في ١٦ كانون الثاني عام ١٥٨٥. لمزيد من التفاصيل ينظر:

en. Wikipedia.org/Edward- Clinton.
(3) Fox Bourne, English Seamen under the Tudors, vol. II, (London, 1868), p.6.

(٤) ايرل: لقب انجليزي أدنى من الماركيز وارتفع من الفيكونت والبارون. الباشا، المصدر السابق، ص ٤.

كانت الملكة اليزابيث جادة في اعادة القوة البحرية الى الحالة التي كان قد تركها فيها الملك هنري الثامن، واستخدمت جميع قدراتها لأجل ذلك، اذ استخدمت قدرات كبار المستشارين الاكثر حكمة منها هي نفسها، ومن بين هؤلاء سيسل Cecil (١٥٢٠-١٥٩٨)^(١) - رئيس مجلسها الخاص- وشارل هاورد Charles Howard ابن وحفيد اللورد توماس هاوارد شقيق وخلف ادميرال انكلترا السير ادوارد هاورد، وكذلك ادوارد كلنتون E. Clinton (١٥١٢-

القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)، ص ١٣٨.

(١) وليام سيسل: رجل دولة انكليزي، والمستشار الرئيس للملكة اليزابيث الاولى لأغلب عهدها، تقلد منصب وزيرا للخارجية لمرتين الاولى منذ عام ١٥٥٠-١٥٥٣ والآخرى منذ ١٥٥٨-١٥٧٢. توفي في لندن في ٤ آب عام ١٥٩٨ ودفن في كنيسة سانت مارتن. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Alan Smith, William Cecil the power behind Elizabeth, (N.P, 2004).

بخصوص جمع السفن المتوافرة في نظام واحد، ولمنع اي احد من مغادرة المملكة من دون رخصة، وقد نفذت هذه التعليمات والوامر بصرامة، وفي رسالة وجهتها الى واردين Warden المسؤول عن حماية موانئ سينك Cinque - مجموعة موانئ تقع في كِنت جنوب شرق انكلترا- تذكره ان الملكة لا ترغب ابداً في سجن جميع رعاياها، لكنها فقط ترغب في تحديد من هم الافضل لأجل خدمتها. واتخذت الملكة اليزابيث التدابير اللازمة بشأن تحصين دوفر وبورتسموث - جنوب شرق انكلترا- والنقاط الدفاعية الاخرى للصمود بوجه أي هجوم يمكن ان يشن ضد انكلترا^(٣).

ان عدم شعور الملكة اليزابيث بالأمان من اسبانيا وفرنسا على حد سواء هو من دفعها صوب الاهتمام بالبحرية بشكل كبير، فسخرت جميع الامكانيات البشرية

امثال توماس كريشام T. Gresham - مؤسس البورصة الملكية- وكبار تجارها قد تقاسموا المشورة وجعلوا البحرية الانكليزية قوة اعظم مما كانت عليه في أي وقت مضى^(١).

كان لاقتناع الملكة اليزابيث الاولى بأهمية التجارة الأثر الكبير في اتصالها بالرأي العام، فاستطاعت بمساعدة سيسل ان توثق صلاتها بتوماس كريشام، واعتمدت عليه في الحصول على القروض التي استعانت بها في سد حاجاتها في الداخل وتحقيق سياساتها في الخارج، واتخذت منه مستشاراً لشؤونها المالية^(٢).

كانت البحرية الانكليزية في الأيام الاولى من حكم الملكة اليزابيث غير قوية بما فيه الكفاية لحماية المضائق من الفرنسيين، واصدرت الملكة اليزابيث الاولى في اليوم الثالث من تنويعها في ٢١ تشرين الثاني عام ١٥٥٨ تعليمات

(1) Bourne, op, cit , p.7.

(٢) راشد، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(3) Bourne, op, cit , p.8.

وتعد خطوة وليام سيسل احدى الوسائل اللافتة للنظر لغرض ابداء المساعدة في مسألة تحسين البحرية الانكليزية، ففي عام ١٥٦٣ اصدر البرلمان الانكليزي قانوناً بتشجيع من سيسل يمنع من خلاله أكل أي لحم ايام السبت وبأكثر من نصف الحصّة في ايام الاربعاء، كان القانون يرمي الى زيادة عدد صيادي الاسماك والبحارة، وليس للقانون أية علاقة بعملية اختيار اللحوم، وان اي شخص يعظ أو يُدرس بان اكل السمك او تحريم اللحم كان من اجل الحفاظ على روح الانسان او لخدمة الله يجب ان يحاسب بصفته يشيع الاخبار الكاذبة^(٣).

وبطبيعة الحال يعد هذا القانون باطلاً وغير فعال على حد سواء، إذ كان بإمكان الملكة اليزابيث الحصول على العديد من البحارة عن طريق رفع اجورهم وفي أي

والمادية لأجل ذلك.

وقد استخدمت الملكة اليزابيث السير توماس كريشام للقيام بعملية تهريب كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة من انتويرب Antwerp - مدينة بلجيكية- ومدن قارية اخرى، اذ كانت انكلترا تعاني نقصاً شديداً في تلك المواد. ولم تكتفِ الملكة اليزابيث بذلك بل انها شجعت على صناعة هذا المواد محلياً^(١) اذ كانت هناك كميات كبيرة من النحاس والحديد قد اُهملت منذ زمن طويل تقع قرب كيسويك Keswick في كمبرلاند Cumberland -شمال غرب انكلترا- إذ كان بالإمكان الاستفادة منها في تدعيم صناعة السفن والاسلحة البحرية، وكانت الملكة اليزابيث من اوائل الذين قدموا مسحوق البارود لتتم صناعته في انكلترا^(٢).

(1) Ibid, p.8.

(2) Ibid, p.8.

(3) Ibid, p.9.

السفن الانكليزية، اذ اضيفت الصواري الكبيرة للسفن الضخمة، والغطاء المعدني لجسم السفينة وصناعة الاشرعة الخفيفة ومرساة تعمل بواسطة عتلة رحوية، وتم التركيز على طول الاسلاك في السفينة التي تمكن البحارة من مواجهة اعلى العواصف، فطول السلك يماثل طول حياة السفينة في جميع نواحيها، وسبب ذلك وجود منحنيات وامواج كثيرة جدا^(٣) ووضعت في السفن مجاري لتصريف المياه الزائدة^(٤).

وكانت السفن الانكليزية تُزين بالألوان الخلابية كالأبيض والاحمر والاخضر وذلك لإعطائها بهجة وجمالية^(٥).

ان هذه التحسينات وغيرها اجريت واقرت خصوصا عندما تحمس السير

وقت من الاوقات، ففي كل عام كانت تبني سفن جديدة للملكة، وكان بإمكانها ان تهيأ ما يقارب ٢٠,٠٠٠ مقاتلا للعمل في البحر في وقت قصير جدا^(١).

وبعد مضي عشرون عاما من حكم الملكة اليزابيث شهدت البحرية الانكليزية نموا مستمرا، اذ بلغت عدد السفن ٢٤ سفينة عام ١٥٧٨ بقادتها وجنودها ورماة المدافع، وكانت هذه السفن الاربع والعشرون هي الانتصار Triumph وحمولتها ١٠٠ طن، ثم اليزابيث والدب الابيض وحمولة كل واحدة ٩٠٠ طن، ثم النصر وزهرة الربيع وحمولة كل منهما ٨٠٠ طن، وماري روز والامل وفيليب وماري والاسد بلغت حمولة كل منهما ٦٠٠ طن... وصولاً الى حمولة ٦٠ طن وهي سفينة تدعى جورج^(٢).

ادخلت العديد من التحسينات على صناعة السفن، فقد تم تحسين شكل

(3) Ibid, p.11.

(4) Angus Konstam, Tudor Warships Elizabeth I's Navy, (N.D, N.P), p.14.

(5) Ibid, p.15.

(1) Ibid, p.10.

(2) Ibid, p.10.

١٥٩٦^(٢) من تأسيس صندوق مالي في كاثام Chatham - جنوب شرق انكلترا- وهو صندوق اعانة تم تشكيله من اسهامات تطوعية من جانب البحارة الاثرياء نيابة عن اقرانهم الاقل ثراء منهم، لأجل تحقيق الرفاهية للبحارة^(٣).

(٢) فرانسيس دريك: ولد في ديفون عام ١٥٤٠ والده ادموند دريك (١٥١٨-١٥٨٥) وهو مزارع بروتستانتى. يعد دريك اعظم بحار في عصره كان نائباً لقائد الاسطول الانكليزي في معركة الارمادا الشهيرة. توفي اثر اصابته بمرض الزحار عام ١٥٩٦. وقد تغنى الشعراء الانكليز بدريك واجاده ومما ذكر: انت يا دريك قد عرفتك نهاية العالم، والذي استدارت حولك البوصلة، الذي رآه قطب السماء مرة، الذي وثب على الشمال والجنوب، والنجوم من الاعلى وصفتك بالشهير.

James Orchard Halliwell, Early Naval Ballads of England, (London, N.D), p. 25.

(3) C.D. Penn Lond, The Navy under the early stuarts and its influence on English history, (Manchester, 1913), p.1.

جون هاوكينس J. Hawkins (١٥٣٢-١٥٩٥)^(١) الذي سار على خطا بنجامين جونسون Benjamin Gonson -والد زوجته- امين الخزانة أو مراقب النفقات البحرية، وقد ادار جونسون ذلك منذ عام ١٥٥٧ حتى وفاته عام ١٥٧٨ عندها أوكلت مهام الادارة الى هاوكينس الذي كان يملك خبرة كبيرة في مجال الاعمال البحرية، مما مكنته ذلك من الاشراف بشكل مباشر على جميع الشؤون المتعلقة بالسفن وبناءها وهكذا اصلىح العديد من السفن غير القادرة على الابحار وتمكن مع البحار الشهير فرانسيس دريك F. Drake (١٥٤٠-

(١) جون هاوكينس: ولد في مدينة بلايموث. كان يعمل في بناء السفن وفي الملاحة والقرصنة، اسهم بشكل كبير في اعادة بناء السفن القديمة وصناعة سفن سريعة كان لها الدور الكبير في انتصار الانكليز على الاسبان في الارمادا. توفي في مرض الزحار عام 1595 وهو في البحر. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Southey, op. cit, pp. 1-3

اللازمة في المعارك البحرية في سفن الملكة اليزابيث، وكان قياس المدفع الواحد ١٢ قدماً ووزنه ٤ اطنان، وهناك مدافع أخرى طويلة واقل وزناً من المدافع الكبيرة اذ يبلغ وزنها طناً واحداً وهذا يتلاءم مع رمي الاطلاقات. وكانت هذه الاسلحة هي المعدات الرئيسة في سلاح البحرية. وهناك ايضا بنادق يدوية وسلاح ناري يدعى «الهاركويب - Harquebu» الذي يوضع على مسند قبل اطلاق النار، فضلاً عن السيوف والتروس والرماح والخناجر، وهناك ادوات حربية عديدة مثل الكرات المصنوعة من النحاس وتتكون من نار اصطناعية التي تبدو وكأنها قنابل مصغرة تلقى على الاعداء^(٣).

وقد تقاعد هاوكينس عام ١٥٨٩ لكن بقيت صناعته للسفن يزاوها البحارة من بعده، فالعديد من السفن التي صنعت تحت إشراف هاوكينس بقيت في الخدمة

كان السير هاوكينس - بصفته مراقباً للنفقات - متفهماً لمتطلبات عمليات بناء السفن الجديدة واصلاح القديمة والجديدة منها وجميع ما يصب في صالح البحرية الانكليزية، وقد خصص مبلغ قدره (٥,٧١٤) باوند لغرض عمليات البناء والصيانة^(١)، وهذا المبلغ يزداد في كل عام، وفي ما يتعلق بتسليح البحرية فلم يكن لدى السير هاوكينس الشيء الكثير ليقوم به، رغم ذلك فقد انجز ذلك اثناء الجزء الاكبر من عهد الملكة اليزابيث، واكمل مهمة التسليح السير وليام وينتر W. Winter^(٢) المشرف على اعمال التسليح في البحرية، وخاصة فيما يتعلق بسلاح المدفعية البحري الذي يرتبط بعد ذلك بإشراف التسليح البري. كان الامر معقداً ومهماً على حد سواء. وقد استخدمت دزيتان مختلفتان من المدافع

(1) Bourne, op, cit, p.11.

(٢) يعد السير وليام ونتر سيد المدفعية البحرية الانكليزية. Konstam, op, cit, p.23

(3) Ibid, p.12-13.



الحرب^(٣).

امتلكت انكلترا خلال عهد الملكة اليزابيث الاولى العديد من البحارة الذين ما زالت اسمائهم تتردد على اللسان، وقد اشتغل هؤلاء في التجارة وفي الوقت نفسه عملوا في سفن حربية مسلحة، نظراً لصغر حجم الاسطول الانكليزي وقتذاك، فلم يكن من اليسير التمييز بين السفن الحربية والتجارية في زمن الحرب، فكلما النوعين كان يشترك في عملية الذود عن البلاد وما القرصنة الاً خليطاً من التجارة وأمور الحرب البحرية واستطاع البحارة ممارستها في نطاق ملكي رسمي. القرصنة الانكليزية

لا تعد القرصنة البحرية من قبيل الاستعمار على الرغم من ان دريك قد استولى على موقع شمال كاليفورنيا، ووضع احد سلاطين جزر التوابل الثائرين ضد البرتغال تحت حماية الملكة اليزابيث الاولى،

الفعلية بالأسطول الانكليزي لمدة طويلة حتى بعد وفاة الملكة اليزابيث الاولى عام ١٦٠٣ وكان هاوكينس الرجل الاول المسؤول عن هزيمة الإسبان في حرب الارمادا عام ١٥٨٨، ويُعد واضح الحجر الاساس للبحرية الانكليزية في عهد آل ستيوارت في القرن السابع عشر^(١).

ان مثل هكذا قوة بحرية جعلت من انكلترا تصمد بوجه الهجمات التي كانت تهددها دائماً من جانب فرنسا واسبانيا، الا ان الملكة اليزابيث ومستشاروها الكبار كانوا يمتنعون عن خوض غمار الحرب الفعلية، واكتفت السفن الحربية الانكليزية بحماية السواحل ومعاينة القرصنة^(٢).

وقد بلغت أعداد السفن الانكليزية في عهد الملكة اليزابيث الاولى ما يقارب الـ (٩٩) سفينة، باستثناء السفن التجارية التي كانت تحول الى سفن مقاتلة في زمن

(1) Konstam, op, cit, p.12

(2) Ibid, p.13.

(3) Konstam, op, cit, p.12-13.

كانت القرصنة مؤسسة موقرة، وهذا ما جعل الكنيسة المسيحية تبتعد عن شجبها وادانتها، وتذكر حوليات انكلترا في العصور الوسطى بان هناك اعمال قرصنة وقعت في ميناء سينك بحق تجار يارموث Yarmouth - شرق انكلترا- واماكن اخرى مما جعل هناك حالات من الثأر تظهر بين الفينة والاخرى^(٣).

كانت القرصنة مباحة بشكل علني في حالات الحرب، ولكنها غير ذلك في حالات السلم، التي ربما تقود الى حرب غير مرحب بها على الاطلاق^(٤).

وفي عهد الملكة اليزابيث كان هناك نموا واضحا في فن الملاحة، وكذلك الزيادة الكبيرة في اعمال التجارة بسبب الابحار والحصول على الغنائم الباهظة الثمن عن طريق القرصنة. كان لدى الملكة اليزابيث

وبدأت فكرة الاستعمار تنمو شيئا فشيئا في رؤوس الانكليز، وكانت انكلترا تفضل بعض المراكز في أوروبا على اقاليم استعمارية واسعة فيما وراء البحار^(١).

ويذكر هيربرت فشر بانه: لم يكن البحارة الانكليز في عهد الملكة اليزابيث من طراز واحد فقد كانوا يملكون عدد من الصفات المشتركة، فهم كبجارة كانوا يؤمنون بقدر قاهر يتحكم في الامواج ومصائر الرجال، وفخورين بإنكلترا وملكتهم ويحتقرون الاجنب، ويبغضون البابا والأتراك والشيطان، ولو ان كرههم للبابا لا يعدله كرههم لأي شيء آخر كونه خص البرتغال بالهند الشرقية وخص اسبانيا بالهند الغربية (غرب الانديز) -جزر الكاريبي من مضيق فلوريدا الى الساحل الشمالي لأمریکا الجنوبية-^(٢).

(١) جلال يحيى، التاريخ الاوربي الحديث، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، د.ت)، ص ٢٦٢.

(٢) هيربرت فشر، اصول التاريخ الاوربي الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة

الفرنسية، دار المعارف بمصر، (القاهرة، د.ت)، ص ٢٢٢.

(3) Bourne, op, cit, p.17.

(4) Ibid, p.17.

(٣) W. Raleigh (١٥٥٤-١٦١٨) (٤) وهمفري جيلبرت H. Gilbert (١٥٣٩-١٥٨٣) - أخ رالي من امه- الذي أشار الى ان اقصر الطرق المؤدية الى الصين والهند هي عن طريق البحر القطبي أو الشمال الشرقي . لكن محاولاته فشلت بسبب البحر المتجمد، شارك جيلبرت في تأسيس مستعمرة فيرجينيا (البكر والعذراء) - نسبة الى الملكة اليزابيث الاولى العذراء-(٥).

.Bourne, op, cit, p. 304

(٣) والتر رالي: ولد في ديفون Devon لعائلة بروتستانتية. كان له دور فعال في الاستعمار الانكليزي لأمريكا الشمالية. وقد منحت الملكة اليزابيث اذنا ملكيا لاكتشاف فرجينيا. توفي عام ١٦١٨.

Robert Southey, English Seamen Hawkins Greenville Devereux Raleigh, (London, 1904), pp. 234-236.

(4) Bourne, op, cit, p.18.

(٥) صالح، المصدر السابق، ص ص 476-477.

العديد من البحارة المغامرين واشهرهم فرانسيس دريك وهاوكينس وكافيندش T.Cavendish (١٥٦٠-١٥٩٢)(١) وجرينفيل Greenville (٢) ووالتر رالي

(١) توماس كافيندش: مستكشف انكليزي، كان يهاجم على الدوام السفن الاسبانية، مات في البحر وعمره 32 عاما. قام بالرحلة الثالثة حول العالم عام 1586-1587 في سنتين وخمسين يوماً، وعندما رجع كان بحارته يلبسون الحرير. وقيل ان أشرعة سفنه كانت مكسوة بالحرير والمطرزة بالذهب. محمد محمد صالح، تاريخ اوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، (بغداد، ١٩٨١)، ص 576.

(٢) ريتشارد جرينفيل: هو ابن السير روجر جرينفيل، ولد عام ١٥٤٠ في احدى مقاطعات غرب انكلترا. يعد من البحارة المغامرين ممن حصلوا على رخصة من الملكة اليزابيث الاولى عام ١٥٦٦ للخدمة في هنغاريا ضد الاتراك. وكان من ضمن الاسطول البحري في المعركة الكبيرة ليبانتو. خدم بعد ذلك في ايرلندا، وكان من اوائل الذين ابحروا الى فرجينيا وقدم تقريراً الى الملكة اليزابيث اوضح فيه تصميمه على استعمار المنطقة وزراعتها.

دريك من ميناء بلايموث Plymouth -جنوب غرب انكلترا- عام ١٥٧٧ فيها صار يعد ثاني طواف حول الكرة الارضية بعد المستكشف البرتغالي فردناند ماجلان Magellan (١٤٨٠-١٥٢١) وبعد ان تعرضت سفنه لعاصفة كبيرة، سار دريك وحده بالسفينة -بليكان- على الساحل الغربي للأمريكتين الى سان فرانسيسكو مهاجما جميع السفن الاسبانية في طريقه، ثم انعطف غرباً الى الفلبين وعبر المحيط الهندي قادما الى افريقيا وصولا الى رأس الرجاء الصالح ليصل الى بلايموث في ١٦ ايلول ١٥٨٠ ومعه ارباح بلغت ٦٠٠,٠٠٠ جنيه، سلم الملكة اليزابيث منها ٢٧٥,٠٠٠ جنيهًا وحيته انكلترا على انه اعظم ملاح وقرصان في عصره وتناولت الملكة اليزابيث العشاء معه على ظهر سفينته ومنحته لقب فارس^(٢).

كان دريك من اشهر البحارة الانكليز في انكلترا في القرن السادس عشر فقد تربى على نفقة البحار الانكليزي هاوكنس -احد اقربائه- وفي سن الخامسة والعشرين حصل دريك من الملكة اليزابيث على براءة القرصنة (رخصة)^(١) وفي عام ١٥٧١ قام بأسر قافلة من السفن الاسبانية محملة بسبائك الفضة قرب شاطئ بنما، وعاد الى انكلترا ثريا منتقما من اسبانيا، وقام مستشارو الملكة اليزابيث بإخفائه عن الانظار مدة ثلاثة اعوام في حين كانت اسبانيا تطالب برأسه وبعد ذلك جهّز له روبرت دودلي R. Dudley (١٥٣٢-١٥٨٨) ايرل ليستر Leicester وفرانيسيس والسينغهام F. Walsingham (١٥٣٢-١٥٩٠) - مستشار الملكة اليزابيث - اربع سفن صغيرة تبلغ حمولتها ٣٧٥ طنا. ابهر

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة فؤاد اندراوس ومحمد علي ابودرة، مج ١٤، ج ٢٧، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ص ٤٤-٤٥.

(1) James Anthony Froude, English seamen in the sixteenth century, (New York, 1917), p. 27.

ما يمكن الاستيلاء عليه وكثيراً ما كانت الملكة اليزابيث تنكر عمليات القرصنة علناً وتؤيدها سرّاً^(٢).

لم تكن القرصنة موجهة لسلب الاموال والثروات فحسب، لكنها كنت تتجه صوب تجارة الرقيق الرائجة التي كان قد بدأها البرتغاليون قبل ذلك بقرن من الزمن. وكان المواطنون في المستعمرات الاسبانية في امريكا يموتون تحت تأثير الكدح المضني الذي لا يتناسب مع بيئتهم او مع المناخ الذي يعيشون فيه فأمر الحكام الاسبان في امريكا بمنع استيراد العبيد الا بترخيص من الادارة المحلية في اسبانيا، وفي غضون ذلك قادهاوكينس -

وهو على علم تام بان الاسبان يراوغون في هذه القيود- ثلاث سفن الى افريقيا عام ١٥٦٢، والقى القبض على ٣٠٠ من الزوج واخذهم الى جزر الهند الغربية وباعهم الى المستوطنين الاسبان مقابل

يذكر المؤرخ الآن بومبار: ان دريك لم يمت بمرض الزحار مثلما أُشيع، إذ لا يمكن لشخص عاقل التصديق بان رجلاً انطلق من لا شيء ومن ثم صار قرصاناً، فرائداً، فاميرال تغلب على أكبر عدو لإنكلترا يمكن ان يموت على هذا النحو بحادث عرضي تقريباً في حين كانت الرغبة بمنعه من العودة الى بلاده تتم بجميع الوسائل فمن المؤكد ان دريك سُمم بناء على الاوامر فان لم تكن اوامر الملكة اليزابيث الاولى فعلى الاقل بناء على اوامر مجلسها الخاص، بسبب تعاضم سلطته التي أصبحت مساوية لسلطة الملكة اليزابيث الاولى^(١).

قامت التجارة الانكليزية بإذن من القراصنة، واستخدمت مراكب القرصنة الصغيرة مداخل الشواطئ الانكليزية مخابئ لها ومنها انطلقت لتستولي على كل

(١) الآن بومبار، عطاء الملاحين الغربيين، ترجمة وجيه العمر، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، ١٩٨٦)، ص ١٣٥.

(٢) صالح، المصدر السابق، ص ٤٤.

اعترضه اسطول اسباني ودمر سفنه ما عدا مركبين صغيرين عاد فيهم هاوكينس الى انكلترا صفر اليدين عام ١٥٦٩^(٢).

ومنذ النصف الاول من عهد الملكة اليزابيث كان الصراع قائما بين انكلترا واسبانيا وكانت الحروب من اجل السيطرة على العالم محصورة بين دريك والاسبان. ففي عام ١٥٨٥ امدته الملكة اليزابيث بالمال اللازم فجهز ثلاثين سفينة انقض بها على الامبراطورية الاسبانية ودخل مصب نهر فيجو في شمال غرب اسبانيا واعمل السلب والنهب في ثغر فيجو وحمل معه المعادن النفيسة والملابس الثمينة من الكنائس، وابحر الى جزر الكناري في المحيط الاطلسي والرأس الاخضر (ارخبيل غرب سواحل شمال افريقيا) وعبر الى الاطلنطي، واغار على سانت دومينغو (عاصمة جمهورية الدومينيكان في البحر الكاريبي)^(٣)

السكر والتوابل والعقاقير، وعندما عاد الى انكلترا اغرى العديد بان يسهموا بأموالهم في مغامرة ثانية، وحرّض الملكة اليزابيث على ان تضع سفينة من احسن سفنها تحت تصرفه. وفي عام ١٥٦٤ انطلق جنوباً بأربع سفن وامسك بـ ٤٠٠ من زنوج افريقيا وابحر بهم الى جزر الهند الغربية وباعهم الى الاسبان ايضاً تحت تهديدهم بضربهم بمدافعه اذا ما رفضوا الشراء، وعاد الى انكلترا اذ رحبت به بوصفه بطلاً، واقتسم الغنائم بينه وبين انصاره والملكة اليزابيث التي حصلت على ٦٠٪ من هذه الغنائم^(١).

وفي عام ١٥٦٧ اعارت الملكة اليزابيث سفينتها «يسوع» لهاوكينس وابحر بها مع اربع سفن اخرى الى افريقيا، ووضع يده على كل ما امكنه من العبيد وباعهم في امريكا الاسبانية بمائة وستين جنيهًا للعبد الواحد وفي طريق عودته

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣) تعد جزيرة سانت دومينغو اول جزيرة

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥.

ان تتقدم باحتجاج رسمي على الاحتكار الاسباني في السيطرة على المحيط. ففي عام ١٥٨٠ اعلنت انكلترا في وضوح عن عزمها على عد الادعاءات الاسبانية مناقضة لقانون الامم وان لكل انسان الحق في ارتياد المحيط الواسع، لان البحر والهواء حقوق مشاعة للجميع وليس من حق اية امة او اي شخص احتكار ذلك^(٣). وفي ايار عام ١٥٧٠ اصدر الملكة اليزابيث اعلان صارم يقضي بكبح جماح القراصنة من الانكليز وغير الانكليز ومصادرة املاكهم، وفي شهر شباط عام ١٥٧٢ تم تحويل كل من هاوكينس وجورج ونتر لبذل قصارى جهدهم لإخلاء البحار الانكليزية من القراصنة. وفي شهر تشرين الثاني عام ١٥٧٥ قدم تحويل آخر الى الكابتن وليام هولستوك W. Holstock ومنح سفينتين للقضاء على اعمال القرصنة في البحار الانكليزية.

(٣) هامرتن، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

وقبض على ثلاثين الف من الجنيهاات (رشوة أو منحة) لكي لا يدمر المدن في كولمبيا، وعاد الى انكلترا عام ١٥٨٦^(١).

كانت الملكة اليزابيث الاولى حريصة جدا على المال وكانت يقظة في النفقات الحربية وطالبت بحساب عن كل شلن انفقته البحرية والجيش قبل حرب الارمادا واثنائها وما بعدها^(٢).

كان تيار العداء المتزايد للسيطرة الاسبانية على البحار مغلفاً بحجة ان هجمات المغامرين الانكليز ليست سوى ردود افعال على اعتداءات اسبانية خاصة، وان هذه الهجمات لا تناقض الاحتفاظ بالعلاقات السلمية الرسمية على ان ظروف السياسة الاوربية التي اضطرت انكلترا ان تخرج سافرة بوصفها حامية للبروتستانت هي التي جعلتها مستعدة

يستعمرها الاسبان. المصدر نفسه، ص ١٥١.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣.

وفي عام ١٥٨٧ حمل دريك على ميناء قادس Cadiz الاسبانية -مدينة وميناء تقع جنوب غرب اسبانيا- بست سفن حربية دمر بها بعض السفن الاسبانية، وقاد بعضها الآخر الى السواحل الانكليزية وقد حدث كل هذا في الوقت الذي قرر فيه الملك الاسباني فيليب الثاني غزو انكلترا^(٤).

كانت هذه القوانين فعالة الى حد كبير، فقد القي القبض على العديد من القراصنة السيئين، وقد تمت معاملتهم بعدالة سواء أكانوا من الانكليز ام قراصنة اجانب^(٥). يبدو واضحا ان قوانين الحد من القرصنة شرعت ضد القراصنة غير المباركين رسميا من قبل الملكة اليزابيث، كونهم يشكلون خطرا وعبئا ثقيلا على

وفي ايار ١٥٧٦ خول الكابتن هنري بالمر H. Palmer وتسلم ثلاث سفن للغرض نفسه، باستثناء السفن التي تعمل تحت أمرة السير وليام اورنج Orang (١٥٣٣-١٥٨٤)^(١) وهذا مؤشر واضح على متن العلاقة بين الانكليز والهولنديين اللذين ما زالت حربهم مستمرة مع الملك الاسباني^(٢) فيليب الثاني Philip II (١٥٢٧-١٥٩٨)^(٣).

(١) وليام اورنج أو وليام الصامت الهولندي: يعد الزعيم الاول للثورة الهولندية الموجهة ضد الاسبان. اصبح امير اورنج عام ١٥٤٤. وهكذا يعد وليام مؤسس بيت اورنج وسلف الحكم الملكي في هولندا. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Gustaaf Renier, William of Orange, (London, 1932).

(2) Bourne, op, cit, p. 21.

(٣) الملك فيليب الثاني: ولد في مدينة بلد الوليد عام ١٥٢٧. تعد معركة الارمادا من اشهر المعارك البحرية في التاريخ الاوربي الحديث الموجهة ضد انكلترا والتي هزم فيها. توفي بمرض السرطان في اسكوريال Escorial بالقرب من مدريد عام ١٥٩٨. Martin Hume, Philip

(II of Spain, (London, 1899

(٤) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت)، ص ١٩٨.

(5) Bourne, op, cit, p. 21.

فيه الملك فيليب من أشد المؤيدين بأحقية ماري بعرش انكلترا^(٢) وسعي الملك فيليب الى معاقبة المهرطقين البروتستانت في انكلترا^(٣).

سنركز في حديثنا عن معركة الارمادا على الخطوط العامة منها، كونها تعد من المعارك البحرية الشهيرة في التاريخ الاوربي الحديث.

بعد ان تمكن الملك فيليب الثاني من ان يبنى اسطولا عملاقا مؤلفا من ١٢٩ سفينة حربية بقيادة دوق سيدونيا

(٢) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، دار الفكر العربي، (مصر، ١٩٩٠)، ص ٢٠١.

(٣) احمد صالح عبوش، الملكة اليزابيث الاولى ١٥٥٨-١٦٠٣، مطبعة ابن الاثير للطباعة والنشر، (الموصل، ٢٠١٣)، ص ١٥٥.

اعمال التجارة والملاحة واعمال القرصنة الحاصلة على اذن ملكي بذلك.

كانت اعمال القرصنة التي قادها دريك وهاوكينس ضد الاسبان حربا من دون ان تحمل اسم الحرب، لكنها اغضبت الملك الاسباني فيليب الثاني الى درجة اعلان الحرب على انكلترا عرفت تاريخياً باسم حرب الارمادا.

حرب الارمادا عام ١٥٨٨

يقول مندل كريتون Mandell Creighton: ((ان الإذلال الذي كان يشعر به الملك فيليب الثاني جراء البحارة الانكليز وعلى رأسهم دريك هو من دفعه صوب التفكير باحتلال انكلترا عام ١٥٨٨))^(١). ناهيك عن قيام الملكة اليزابيث بإعدام ملكة اسكتلندا ماري ستيوارت Mary Stuart (١٥٤٢-١٥٨٧) عام ١٥٨٧ في الوقت الذي كان

(1) Mandell Creighton, The age of Elizabeth, (Boston, 1876), pp. 174-175.

- Sidonia^(١) (١٥٥٠-١٦١٥)^(٢)، على نفقتها الخاصة^(٤).
- ويذكر روبر شوسوا في كتابه «المعارك البحرية الكبرى في التاريخ: ((ان الاسبان اخذوا معهم سفينة خاصة مشحونة بالحبال لشد وثاق الهراطقة العتاة وسفينة اخرى مليئة بالسياط لجلد النساء الانكليزيات العاصيات))^(٣).
- وفي الجانب الاخر كانت سفن التاج الانكليزي تحت قيادة الادميرال اللورد هوارد ايفنغهام ومساعدته البحار دريك وقد جهز الاسطول الانكليزي على نفقة الموانئ الكبرى، وتكفلت لندن لوحدها بتحويل ٣٠ سفينة عادية الى سفن حربية
- (١) دوق سيدونيا دون الونزو: نبيل اسباني انضم الى نظام الفرسان عام 1581. كان القائد العام للاسطول الاسباني في معركة الارمادا توفي عام ١٦١٥.
- en.wikipedia.org. Sidonia
- (٢) روبر شوسوا، المعارك البحرية الكبرى في التاريخ، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق، ١٩٨٨)، ص ٧٧.
- (٣) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (٤) عبوش، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٥) دنكرك: اسمها مشتق من اللغة الفلمنكية (الهولندية وشمال بلجيكا) بمعنى -كنيسة التل- تقع في شمال فرنسا. لمزيد من التفاصيل ينظر:
- Haward Press, Dunkirk, (Cambridge, 2006).

البحرية. وكانت سفن الملكة اليزابيث هي فعلا اهم السفن على حين ان السفن التجارية الانكليزية المساعدة لم تقم بعمل شيء ذا اهمية وكان عدد السفن الانكليزية مساوياً تقريباً لعدد السفن الاسبانية (المقاتلة) (٢).

يبدو ان الملك فيليب الثاني كان على ثقة كبيرة بان قوات اسطوله ستحط على الاراضي الانكليزية، مما دفعه الى وضع اعداد كبيرة من المقاتلين ممن لا يملكون أية دراية في شؤون البحار، ولو قدّر لاسطول الارمادا النزول الى البر الانكليزي، لكان الأمر مختلفاً، ولأصبحت انكلترا مقاطعة تابعة لإسبانيا، وهذا ما كان يرمي اليه الملك فيليب الثاني، لكنه لم يوفق في ذلك. ومن الطريف ان يذكر ان انكلترا قامت بعملية بناء مدرسة من حطام الارمادا (٣).

(٢) هامرتن، المصدر السابق، ص ٢٩٩-

(٣) عبوش، المصدر السابق، ص ١٦٤.

اللحظة قضي الامر لصالح الاسطول الانكليزي (١).

يذكر هامرتن في هذا الصدد: ((ليس في تاريخ المعارك البحرية ما يفوق في صيته وشهرته تاريخ هزيمة الارمادا الاسبانية، ولكن ما روي عن هذه المعركة لم يكن كله صحيحاً واهملت الاسباب الحقيقية لأول انتصار بحري عظيم لإنكلترا فعندما ابحرت الارمادا من لشبونة في ٢٠ آيار ١٥٨٨ بدت وكأنها اعظم قوة بحرية تجمعت ولكنها في الحقيقة لم تكن سوى اسطول من الناقلات الناقصة في تسليحها فلم يكن من سفنها البالغة ١٢٩ سفينة سوى ثلثها يمكن ان يوصف بانه سفن القتال وكان بين الثلاثين الف رجل على ظهر الارمادا اثنان وعشرون ألفاً من الجنود البرية الذين لا يعلمون شيئاً عن شؤون البحر. فكان الاسطول الانكليزي متفوقاً في جميع النواحي اللازمة للقوة

(١) عبوش، المصدر السابق، ص ١٦٢.

ست سفن خزن، وكان بقية الاسطول يتألف من قوارب صغيرة ومراكب سريعة وقد اسندت قيادة الاسطول الى الادميرال هوارد اما روبرت ديفيروكس ايرل اسكس Essex (١٥٦٧-١٦٠١) ^(٣) فقد كان قائدا عاما للقوات البرية في حال نزولها الى الاراض الاسبانية، وكلا القائدان كانا يتقاسمان المسؤولية، وقسمت فرقتين بين القائد هوارد والسير والتر رالي في حين كانت هناك قوات طوارئ هولندية بزعامه الادميرال وارموند Warmond ^(٤).

وقد بلغت اعداد البحارة الهولنديين ٣٠٠٠ بحار مقاتل، ومن انكلترا فقد كان هناك ١٠٠٠ متطوع و ٦٥٠٠ جندي

وفي عام ١٥٩٦ كانت هناك حملة كبيرة موجهة ضد اسبانيا شارك فيها البحار الانكليزي رالي بعد قيام الاسبان بالاستيلاء على ميناء كاليه ^(١) في ١٠ نيسان من العام نفسه، مما جعل الملكة اليزابيث تفكر بهجوم سريع وخاطف على اسبانيا ^(٢).

وفي ٣ حزيران عام ١٥٩٦ كان الاسطول الانكليزي قد بلغ تعدادة ١٥٠ سفينة تقريباً قد ابحر من ميناء بلايموث وكانت سبع عشرة سفينة تعود الى سفن الملكة اليزابيث، وسبع وستون اخرى استؤجرت من المتطوعين. واسهم الهولنديون بتقديم ١٨ سفينة حربية مع

(١) كاليه: ميناء يقع في شمال فرنسا، زاره الملك هنري الثامن عام ١٥٣٢. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Office de Tourisme, Calais France, (N.P, 1991).

(2) Edward Spenser Beesly, Queen Elizabeth, (London, 1892), p. 205.

(٣) روبرت ديفيروكس ايرل اسكس: ولد في 10 تشرين الثاني 1567 في مدينة نيدرود في هيرفورد شاير. يعد من البحارة المغامرين في عهد الملكة اليزابيث الاولى. توفي عام ١٦٠١

Bourne, op, cit, p. 306.

.Ibid,p.301 (٤)

البحرية الاسبانية قد فجرها الاسبان حتى لا تقع بأيدي البحارة الانكليز بأمر من قبطانها^(٢).

ويصف والترالي هذه المعركة البحرية قائلاً: ((كان هناك العديد من الجنود قد اغرقوا، وبعضهم الاخر التصقوا بالطين. كان المشهد مؤسفا جدا، فقد احرق العديد من البحارة وبعضهم علق بالحبال على اطراف السفن...))^(٣).

كان الانتصار الانكليزي البحري وراء الكارثة الانسانية، إذ ان السفن الاسبانية القادرة على القتال لم تبداية مقاومة، وان قلاع قادس توقفت عن تسديد اية اطلاقا باتجاه الاسطول الانكليزي المندفع. وكان ايرل اسكس اول من قفز الى شاطئ قادس، واندفع خلفه ثلاثة الالاف مقاتلاً، وامده الادميرال هوارد بـ ١٢٠٠ رجلا وزوده بالعتاد الحربي، وضربوا

مشاة، وما يقارب عدد هؤلاء كانت اعداد البحارة المقاتلين من الانكليز، كانت هذه اكبر قوة مسلحة انطلقت من انكلترا منذ ايام الصليبيين^(١).

وصلت الحملة في يوم الاحد الموافق ٢٠ حزيران عام ١٥٩٦ الى ميناء قادس ورسست السفن في الميناء بطريقة منظمة، وفي اليوم التالي نشبت معركة بين الجانبين تألف الاسطول الاسباني من ٣٠ سفينة حربية كبيرة والعديد من السفن والمراكب الصغيرة مسلحة تسليحا جيدا، وقد رفعت السفن الاسبانية مراسيها لغرض الدفاع عن المدينة، وبدأت الاشتباكات واستمرت ما يقارب الثمان ساعات وفي غضون ذلك كان الاسطول الاسباني قد دُحرَ بالكامل وقد وقعت العديد من السفن الاسبانية تحت سيطرة البحارة الانكليز، وكانت السفينة الاسبانية الشهيرة (سان فيليب) التي تعد فخر ومجد

(2) John Leyland, The Royal Navy, (Cambridge, 1914), p 34.

(3) Bourne, op, cit, p. 303.

(1) Ibid, p. 302.

الى الادميرال هوارد واسكس قالت فيها:
((لو ان قلبي يملك العديد من اللسنة،
لما امكنه ان يدون الاعمال العظيمة التي
قام بها هوارد واسكس، واشكر الرب
كثيرا على الانتصار العظيم الذي منحنا
ايه بيده الرحيمة... واني لا أهتم كثيراً
في ان اكون ملكة بقدر السيادة الوطنية
التي تفجرت وانطلقت بهمم الرجال
الانكليزي)).

أسهم البحارة الانكليزي الى درجة كبيرة
في حفظ انكلترا وابعادها عن الاخطار
التي كان من الممكن ان تهدد كيائها او
حتى ان تؤدي الى احتلالها من جانب
الاسبان وتُعدّ هذه الانجازات العظيمة
قاعدة الامبراطورية البريطانية التي
استعمرت مساحات شاسعة من العالمين
القديم والجديد.

حصاراً على احدى القلاع في قادس
ولم يدم طويلاً حتى استسلمت القلعة
ودخلوها الانكليزي دون ان يلحقوا الضرر
بسكانها ويبدو ان القسوة التي اظهرها
الهولنديون في تعاملهم مع الاسبان في
تلك اللحظة مرجعها الثأر ولا شيء
سوى ذلك، عندما كان الاسبان يعاملون
الهولنديين بقسوة شديدة^(١).

ورغم كل ما حدث غادر الاسطول
الانكليزي قادس في ٤ تموز عام ١٥٩٦
وفي ٨ آب وصل الى ميناء بلايموث،
وعادت القوات الهولندية ايضا الى بلادها
من دون ان يحقق اهدافه، ويذكر المؤرخ
لايلند ان سبب فشل الحملة الانكليزية
الموجهة ضد اسبانيا هو ان الحملة كانت
جل اهتمامها منصب على امور السلب
والنهب^(٢).

وفي رسالة وجهتها الملكة اليزابيث

(1) Ibid, op, cit, p. 303.

(2) Ibid, op, cit, p. 304.

(٣) Leyland, op, cit, p. 34.

الخاتمة

قائمة المصادر

- انتعشت البحرية في عهد الملكة اليزابيث الاولى على الصعيدين الداخلي والخارجي، فقد أدخلت العديد من التحسينات على صناعة السفن مما ساعد انكلترا كثيراً في ان تمتلك أقوى الاساطيل البحرية في العالم الاوربي، وتعد الملكة اليزابيث الاولى واضعة الحجر الأساس للبحرية الانكليزية في العصر الحديث، فقد تطورت صناعة السفن وكثرت أعدادها، فضلاً عن استخدامها أفضل البحارة الانكليز في قيادة الاساطيل الانكليزية لحماية البلاد زمن الحرب.
- وقد شهد عصر الملكة اليزابيث الاولى نمواً سريعاً في فن الملاحة، والزيادة الكبيرة في اعمال التجارة بسبب الابحار والحصول على الغنائم الباهظة الثمن عن طريق القرصنة البحرية الانكليزية.
- اولاً: المصادر العربية والمعربة
- باشا، حافظ ابراهيم، الانكليز في بلادهم، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٣٩).
 - البطريق، عبد الحميد ونوار، عبد العزيز، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت).
 - بومبار، الآن، عطاء الملاحين الغربيين، ترجمة وجيه العمر، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، ١٩٨٦).
 - ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة فؤاد اندراوس ومحمد علي ابو درة، مج ١٤، ج ٢٧، (القاهرة، ٢٠٠١).
 - راشد، زينب عصمت، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر الى نهاية القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، (القاهرة، د.ت).

- رايس، إ.إ، البحر والتاريخ، ترجمة (٢٠١٣).
- عاطف احمد، عالم المعرفة، (الكويت، فشر، هربرت، اصول التاريخ (٢٠٠٥).
- رمضان، عبد العظيم، تاريخ أوروبا الى الثورة الفرنسية، دار المعارف بمصر، (القاهرة، د.ت).
- نور، عبد العزيز سليمان و جمال الدين، محمود محمد، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، دار الفكر العربي، (مصر، ١٩٩٠).
- هامرتن، جون، تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، المجلد ٦، (القاهرة، د.ت).
- يحيى، جلال، التاريخ الاوربي الحديث، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، د.ت).
- ثانياً: المصادر الاجنبية
- Airy, Osmund, CharlesII, (London, 1904).
- Angus Konstam, Tudor Warships Elizabeth I's Navy, (N.D, N.P).
- Beesle, Edward Spenser,
- شوسوا، رويير، المعارك البحرية الكبرى في التاريخ، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق، ١٩٨٨).
- صالح، محمد محمد، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، (بغداد، ١٩٨١).
- صبحي، حسن، التاريخ الاوربي الحديث، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، ١٩٨٣).
- عبوش، احمد صالح، الملكة اليزابيث الاولى ١٥٥٨-١٦٠٣، مطبعة ابن الاثير للطباعة والنشر، (الموصل،

- Lond ,C.D. Penn, The Navy under the early stuarts and its
- Mourre, Michel, Dictionnaire d' histoire ariverselle, (Paris, 1981).-
- Pollard, A.F, Henry VIII, (London, 1902).
- Press ,Haward, Dunkirk, (Cambridge, 2006)
- Renier, Gustaf, William of Orange, (London, 1932).
- Smith, Alan, William Cecil the power behind Elizabeth, (N.P, 2004).
- Southey, Robert, English Seamen Hawkins Greenville Devereux Raleigh, (London, 1904).
- Temperley, Gladys, Henry VII, (London, 1917).
- Queen Elizabeth, (London, 1892).
- Bourne, Fox, English Seamen under the Tudors, vol. II, (London, 1868).
- Creighton, Mandell, The age of Elizabeth, (Boston, 1876).
- de Tourisme, Office, Calais France, (N.P, 1991).
- Froude, James Anthony, English seamen in the sixteenth century, (New York, 1917).
- Froude, J.A, Divorce of Catherine of Aragon, (New York, 1891).
- Hall, Edward, Henry VIII, (London, 1904).
- Halliwell, James Orchard, Early Naval Ballads of England, (London, N.D).
- HARRISSE, Henry, John Cabot the discoverer of North-America and Sebastian his son, (London, 1896).
- Hume, Martin, Philip II of Spain, (London, 1899).
- influence on English history, (Manchester, 1913).
- Leyland, John, The Royal Navy, (Cambridge, 1914).

ثالثاً: الشبكة الدولية للمعلومات

(الانترنت):

- en.wikipedia.org. Sidonia
- en.Wikipedia.org.
- en. Wikipedia.org/Edward-Clinton.